الحوار العالمي للأديان،
المغرب والفاتيكان نموذجا
"التواصل الديني"

الباحث ياسين بورمضان
طالب بسلك الدكتوراه، الشريعة والقانون وقضايا المجتمع
تحت إشراف الأستاذ الدكتور: ابراهيم أبا محمد
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الشريعة، فاس
المغرب

مقدمة:

يعتمد المغرب لتشجيع الحوار بين الديانات، على عدة مرجعيات، أهمها القرآن الكريم الذي يدعو إلى احترام الديانات السماوية، والدستور المغربي الذي يضمن حرية ممارسة الشؤون الدينية، بالإضافة إلى الدبلوماسية المغربية القائمة على منهج التحاور والتشاور بين الأديان لخلق جو من التعايش الحضاري. ومن أجل وضع الدين في خدمة السلم العالمي، فقد انخرطت المملكة المغربية في أنشطة مختلفة لحوار الأديان بالخارج والداخل، كما عملت على تشجيع كل المبادرات الرامية إلى تحقيق التعايش بين أتباع مختلف الديانات في العالم، وزرع روح المحبة بين مختلف الديانات والطوائف الدينية. فما هي أهم إسهامات المغرب في الحوار بين الأديان؟

المطلب الأول: انخراط المغرب في الحوار العالمي للأديان:

دعا الملك الراحل الحسن الثاني إلى ضرورة تبني الحوار والتعايش السلمي والتسامح الديني لأنها من صميم التعاليم الإسلامية، مع الحرص على نبذ العنف والإرهاب، وأن تسود مبادئ السلم والتعايش في أمان بين كافة مكونات المجتمع البشري[1]. ففي 23 نونبر 1985 شارك المغرب في المؤتمر الدولي للسيرة النبوية بإسلام أباد[2]، إسهاما منه في إعطاء مدلول البعث الإسلامي صورته الحقيقية على هدى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوة العالم إلى الدخول في السلم تحت راية التوحيد لما فيه صلاح البشرية، والجنوح إلى السلام الروحي والأمن الفكري والسعادة القلبية[3]. وأثناء مشاركته في الندوة الدولية حول العلاقات بين الإسلام وأوروبا بستوكهولم في 15 يونيو 1995، قال الحسن الثاني في رسالة وجهها إلى الندوة: "نحن نتوق جميعا إلى قيام إدراك أفضل وتقارب أوسع لعلاقات العالم الإسلامي والعالم الغربي عبر الفهم المشترك والاحترام المتبادل ورفض الأحكام المسبقة الجاهزة، والانكباب على دراسة هذه الإشكالية من منظور واضح لتوفير أدوات صلبة ومتينة للتعارف والتواصل بين الإسلام والغرب"[4].

وسار الملك محمد السادس على نهج أجداده في دعم الحوار بين الأديان، والدعوة إلى السلم العالمي والتعايش بين الديانات، من خلال مشاركته في العديد من المؤتمرات والقمم العالمية حول حوار الأديان، منها المؤتمر الإسلامي اليهودي الأول ببروكسيل سنة 2005، الذي جمع مائة من كبار الأئمة والحاخامات، حيث دعا المؤتمر في بيانه الختامي كافة الشعوب للنضال ضد الكراهية والجهل لبناء عالم يسوده السلام ودعوة الزعماء السياسيين في العالم لإيجاد حلول عادلة وسلمية ودائمة لكافة الأزمات خاصة في الأراضي المقدسة[5]. كما أعلن المغرب في أكثر من مناسبة دولية، انخراطه في تأسيس شراكة إنسانية جديدة، قوامها التعاون البناء، من أجل السلم والاستقرار والنماء لكل الشعوب، والتعايش والتفاعل بين الثقافات، والتحالف بين الحضارات، من أجل ترسيخ القيم الإنسانية المثلى الخالدة، للحرية والمساواة، والإخاء والتكافل، والأمن الشامل، والعدل والإنصاف، وترسيخ مواطنة كونية متضامنة، في نطاق منظومة أممية متجددة[6].

واعتبارا لدور الحوار بين الأديان في تقليص الهوة الحاصلة بين الهويات الدينية والثقافية بين الشعوب، والحد من أشكال التطرف والتعصب الديني والإرهاب، فإن المملكة المغربية تدعو من داخل المنظومة العالمية إلى إعادة الاعتبار للقيم الدينية والروحية والثقافية والإنسانية، لأنها تفضح الادعاءات الفارغة، وتدحض المبررات المغلوطة، التي يستند عليها المتطرفون، في تفسير عملياتهم الوحشية، وأن تقوم الجهود الدولية في هذا الشأن، على المساواة والاحترام المتبادل للهويات والخصوصيات الثقافية للشعوب، ولمعتقداتهم الدينية وقيمهم الروحية[7].

وقد بعث صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يوم الاثنين 10 شتنبر 2018، برسالة إلى المشاركين في الدورة الثانية للمؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان، التي تنظمها وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي للمملكة المغربية والمنظمة الدولية للفرنكفونية، تحت الرعاية السامية لجلالة الملك، بفاس، حول موضوع "سؤال الغيرية"، أكد فيها على أن المغرب، وفاس خاصة ظلت عبر العصور أرضا للحوار ورمزا للتسامح والتعايش، وإشاعة القيم الروحية، وجاء فيها : "فاختيار هذه المدينة العريقة لاحتضان الدورة الثانية للمؤتمر الدولي حول الحوار بين الثقافات والأديان ليس وليد الصدفة، فقد ظلت فاس على مر العصور أرضا للحوار ورمزا للتسامح والتعايش، وإشاعة القيم الروحية... إن تنظيم هذا المؤتمر في المملكة المغربية ليعد شهادة من المجموعة الدولية، على التزام المغرب الموصول بالقيم التي يمثلها حوار الثقافات والديانات، واعترافا بالدور الرائد الذي يضطلع به بلدنا، بوصفه عضواً مؤسساً لتحالف الحضارات. وهي المنظمة التي تعنى بحشد جهود الفاعلين على الصعيدين الوطني والدولي، من أجل تعزيز قيم السلم والسلام... وأما النظام الجديد للسلم العالمي، فهو ما نرجو أن نسهم في بنائه جميعاً، على أساس مبدأ التعايش وقبول التعدد والاختلاف، بما يسمح بالبناء والتطوير، وتوطيد الأمن والنمو والازدهار... فلا فرق في المغرب بين المواطنين المسلمين واليهود، حيث يشارك بعضهم بعضا في الاحتفال بالأعياد الدينية. كما يؤدي مواطنونا اليهود صلواتهم في بيعهم، ويمارسون شعائرهم الدينية في أمن وأمان، لاسيما خلال احتفالاتهم السنوية، وأثناء زياراتهم للمواقع الدينية اليهودية، ويعملون مع أبناء بلدهم من المسلمين من أجل صالح وطنهم الأم. أما بالنسبة للمسيحيين العابرين أو المقيمين في المغرب، فقد كان لهم على الدوام الحق في إقامة شعائرهم الدينية في كنائسهم، وكان من أجدادنا السلاطين من أهدى أرضا لبناء كنيسة ما تزال مفتوحة للمصلين إلى يومنا هذا. لقد أبان المجتمع المغربي عبر التاريخ، عن حس عال من التفاهم

المشترك وقبول الآخر، في التزام ثابت، بضرورة الحفاظ على الذاكرة المشتركة للتعايش والتساكن بين أتباع الديانات الثلاث، خاصة خلال الحقبة الأندلسية"[8].

كما شارك المغرب في المنتدى الذي نظم بمبادرة من رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة حول موضوع "الدور المحوري لثقافة السلام: تعزيز المرونة والاندماج في الانتعاش ما بعد كوفيد"، ممثلا بالسفير، الممثل الدائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، السيد عمر هلال، الذي أكد على أن المملكة المغربية تجدد التأكيد على التزامها الثابت بالنهوض بقيم السلام، والحوار بين الأديان والثقافات، والاحترام المتبادل والكرامة الإنسانية، وتبقى مستعدة لمواصلة انخراطها لمكافحة خطابات الكراهية". وأضاف أن المغرب، وبتوجيهات سامية من صاحب الجلالة الملك محمد السادس، يعمل بشكل دؤوب من أجل تعزيز قيم السلام، والوئام واحترام التنوع الثقافي والديني، على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية[9].

المطلب الثاني: الحوار مع المؤسسة البابوية:

تعتبر العلاقات الدبلوماسية بين المملكة المغربية والكرسي الرسولي الأكثر تميزا في العالم، وهي علاقة متجدرة في التاريخ، خصوصا منذ اللقاء التاريخي للقديس فرنسيس الأسيزي والسلطان مالك الكامل قبل أزيد من ثمانية قرون، وتتجلى قوة هذه العلاقات في الزيارات المتكررة بين الطرفين والتي تشكل صورة من صور حوار الأديان بين الإسلام والكنيسة الكاثوليكية. وافتتحت السفارة البابوية بالرباط سنة 1988 وهي واحدة من بين 115 ممثلية

دبلوماسية وقنصلية للكرسي الرسولي في العالم، حيث تم تعيين المونسنيور فيتو رالو هو السفير البابوي في الرباط، كما افتتح المغرب في العام 1997، سفارته لدى الفاتيكان لتوطيد العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين.

وفي عام 1980، قام الملك الحسن الثاني بزيارة رسمية إلى الفاتيكان، تعد أول زيارة إلى الحبر الأعظم من قبل رئيس دولة مسلمة[10]، التقى فيها يوحنا بول الثاني، وتحاورا معا في قضية القدس الشريف وموقعها العقدي عند المسلمين[11]. وبعد هذه الزيارة التاريخية لدولة الفاتيكان، صدر ظهير ملكي يؤكد مركزية الكنيسة الكاثوليكية بالمغرب، وحقها في ممارسة مهامها بحرية خاصة فيما يتعلق بالعبادة، والتعليم الديني، وإنشاء إطار قانوني للتعايش السلمي بين المسلمين والكاثوليك[12]. وفي سنة 1985 قام البابا يوحنا بول الثاني بزيارة للمغرب، بدعوة من أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني رحمه الله[13]، بهدف تعزيز العلاقة بين إمارة المؤمنين والمؤسسة البابوية، ونسج وتقوية خيوط المحبة والصداقة والوئام بين الأمم والديانات[14]، حيث تميزت بلقاء ديني مع 80 ألف شاب مسلم في ملعب الدار البيضاء دعا خلاله البابا المسيحيين والمسلمين إلى تعارف أفضل من أجل بناء السلام[15]. كما ذكر في

خطابه أمام الحاضرين بملعب محمد الخامس، بقيم الإخاء والسلم والحوار بين المسلمين والمسحيين، قائلا: "الحوار بين المسلمين والمسيحيين مهم جدا، أعتقد أن الله يدعونا إلى تغيير أفكارنا وجعلها أفكارا سلمية مبنية على الحوار"[16].

وفي 30 مارس 2019، قام البابا فرانسيس بزيارة رسمية للمغرب، في سياق عالمي استثنائي، كما قال الملك محمد السادس في خطابه: "تأتي زيارتكم للمغرب، في سياق يواجه فيه المجتمع الدولي، كما جميع المؤمنين، تحديات كثيرة، وهي تحديات من نوع جديد، تستمد خطورتها من خيانة الرسالة الإلهية وتحريفها واستغلالها، وذلك من خلال الانسياق وراء سياسة رفض الآخر، فضلا عن أطروحات دنيئة أخرى. وفي عالم يبحث عن مرجعياته وثوابته، فقد حرصت المملكة المغربية على الجهر والتشبث الدائم بروابط الأخوة، التي تجمع أبناء إبراهيم عليه السلام، كركيزة أساسية للحضارة المغربية، الغنية بتعدد وتنوع مكوناتها"[17]. وقد أكد أمير المؤمنين في كلمته على قيم التعايش والتعارف التي يدعو إليها الإسلام، ونبذ التطرف والإرهاب المنطلقين من الجهل بالدين، مؤكدا عن دور الديانات التوحيدية في ترسيخ مبادئ التعايش والتعارف وقبول الآخر، حيث قال: "لقد استغرق الحوار القائم على التسامح وقتا ليس بيسير، دون أن يحقق أهدافه. فالديانات السماوية الثلاث لم توجد للتسامح في ما بينها، لا إجباريا كقدر محتوم، ولا اختياريا من باب المجاملة، بل وجدت للانفتاح على بعضها البعض، وللتعارف في ما بينها، في سعي دائم للخير المتبادل بدل التطرف، سواء كان دينيا أم غير ذلك، مصدره انعدام التعارف المتبادل، والجهل بالآخر، بل الجهل، وكفى، ذلك أن التعارف المتبادل يعني رفض التطرف، بكل أشكاله، وهو السبيل لرفع تحديات هذا العصر المضطرب... وبصفتينا أمير المؤمنين والحبر الأعظم، فإننا مدعوون لأن نكون في نفس الوقت مثاليين وعمليين، واقعيين ونموذجيين. فرسائلنا تتسم بطابعها الراهن والأبدي في آن واحد. وهي تدعو الشعوب إلى الالتزام بقيم الاعتدال، وتحقيق مطلب التعارف المتبادل، وتعزيز الوعي باختلاف الآخر. وبذلك، تكون، قداسة البابا، قد اجتمعنا على كلمة سواء بيننا وبينكم". وهي كلمة تتجاوز دلالاتها المعنى الضيق للتوافق التحكيمي. فنحن نفهمها –ونعيشها– كرسالة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين واليهود، موجهة للبشرية جمعاء. وذلكم هو ما يجمعنا اليوم، وما ينبغي أن يوحدنا في المستقبل"[18].

يشهد تاريخ المغرب إذن بأن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين كان ولا زال قائما إلى اليوم، وفق أشكال مختلفة، وفي مجالات متعددة، التجارية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والدينية، حيث عاش المغاربة المسلمون جنبا إلى جنب مع أهل الذمة وضمنوا لهم حقوقهم في الحياة العامة وفي ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية، بضمانات قانونية وأخرى تحت رعاية إمارة المؤمنين. واعتبارا لدور الحوار في مجال الدبلوماسية الدينية خاصة في استتباب الأمن وتحقيق التعايش والسلم العالميين، فإن المملكة المغربية ظلت منذ قرون بلدا فاعلا ومسؤولا ونشيطا داخل المجتمع الدولي، مقتنعا بتعزيز التعددية والعمل الجماعي وقبول المخالف، من أجل الحوار والتعددية والاحترام المتبادل، وفي هذا السياق، وقد

حافظت المملكة المغربية على تقاليد المغرب العريقة في مجال النهوض بالحوار بين الثقافات والأديان والحضارات، مما جعل منه أرضا للقاء والتلاقح بين مختلف الثقافات والحضارات.

خاتمة

إن مسألة التعايش والحوار بين المجتمعات وأتباع الديانات المختلفة شكلت منذ وقت بعيد موضوع نقاش لدى الباحثين والمهتمين في مجالات علم الاجتماع والعلوم السياسية وحوار الأديان وغيرها، ولم يحصل اختلاف في كونهما آليتين أساسيتين لتحقيق التعاون والسلم والسلام بين أبناء المعمور باختلاف ألوانهم وأعراقهم وأديانهم. إلا أن التاريخ في بعض مراحله، والوقائع أثبتت صدامات وصراعات وحروب وتوترات في العلاقات بين الدول والمجتمعات، وتعصب في الأديان وانتشار التطرف والإرهاب والعدوانية والكراهية، خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية، مما أثار سجالات حول طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب وجه خاص، فانقسمت الآراء إلى من ينظر إلى تلك العلاقة أنها علاقة صدام وعدوانية، ويبني أصحاب هذا الرأي موقفهم على اعتقاد أن الإسلام ينظر إلى الديانات الأخرى بكونها تعرضت للانحراف، وأن العالم الإسلامي يستغل الدين في السياسة ويثير صراعات مع الغرب، بينما يذهب أصحاب الرأي الثاني إلى أن تاريخ الإنسانية ليس كله أسود، بل الجزء الأكبر منه رسمته حضارات وأمم ومجتمعات كان يجمع بينها الود والتعاون، وأن ما حصل من توترات إنما مرجعه غياب الحوار بين هذه الحضارات والأديان، وأن العلاقات الجيدة إنما تتأسس على التعايش والإرادة في طمس معالم الصراع، وأن ما ينسب للدين بأنه سبب الصدامات والصراعات فهو من باب التأويل الخاطئ للنصوص الدينية، مع أن الهدف

الأسمى من الديانات السماوية المنزلة هو الخلافة في الأرض وإقرار العدالة والتعايش بين الناس.

الهوامش:

[1] المملكة المغربية، المندوبية السامية للتخطيط، المركز الوطني للتوثيق، خطب الملك الحسن الثاني، خطاب المرحوم الحسن الثاني الذي وجهه للأمم المتحدة سنة 1995 بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيسها، دون، ص،202.

[2] نفس المرجع، ص، 390-393.

[3] نفس المرجع، ص، 392.

[4] نفس المرجع، ص، 124.

[5] لبيب فهمي، المؤتمر الأول للأئمة والخاخامات من أجل السلام، مقال نشر على الموقع الالكتروني قنطرة، http://ar.qantara.de/content/lhwr-lslmy-lyhwdy-lmwtmr-lwl-llym-wlhkhmt-mn-jl-lslm، نشر بتاريخ 2002/01/11، واطلع عليه بتاريخ 2024/01/13 على الساعة 05:09.

[6] المملكة المغربية، وزارة الشباب والثقافة والتواصل، قطاع التواصل، خطب صاحب الجلالة، 2022، الخطاب الملكي الموجه إلى الاجتماع الرفيع المستوى للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 15 شتنبر 2005، ص، 90.

[7] خطب صاحب الجلالة، مرجع سابق، الخطاب الملكي الموجه إلى قمة القادة حول مكافحة تنظيم "داعش" والتطرف العنيف، بنيويورك، بتاريخ 29 شتنبر 2015، ص 312.

[8] خطب صاحب الجلالة، مرجع سابق، نص الرسالة السامية التي بعثها جلالة الملك إلى المشاركين في الدورة الثانية للمؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان بفاس، بتاريخ 10 شتنبر 2018، ص 383.

[9] البوابة الوطنية، www.maroc.ma، نشر بتاريخ 08 شتنبر 2021، اطلع عليه بتاريخ 9 يناير 2024 على الساعة 23:15.

[10] إيريك لوران، ذاكرة ملك : الحسن الثاني، كتاب الشرق الأوسط، الطبعة الثانية 1993م، ص143.

[11] نفس المرجع، ص144.

[12] www.cawalisse.com/16288.html نشر في 28 دجنبر 2022على الساعة 14:04، واطلع عليه بتاريخ 19 دجنبر 2023 على الساعة 20:10.

[13] إيريك لوران، مرجع سابق، ص 144-145.

[14] خطب الملك الحسن الثاني، مرجع سابق، كلمة الملك الراحل الحسن الثاني في المهرجان الشعبي الذي أقيم بمركب محمد الخامس الرياضي ترحيبا بقداسة البابا، ص 339.

[15] www.cawalisse.com/16288.html نشر في 8 يناير 2022 على الساعة 14:04، واطلع عليه بتاريخ 9 يناير 2024 على الساعة 20:10.

[16] http://www.youtube.com/watch?v=5Rl4Dw1PzeU اطلع عليه بتاريخ 9 يناير 2024 على الساعة 22:02.

[17] خطب صاحب الجلالة، مرجع سابق، ص400.

[18] خطب صاحب الجلالة، مرجع سابق، ص400.